

دلائل الإعجاز

(جوانحَ قَدَّ أَيْقَنَ أَنْ قَبِيلَهُ ... إِذَا مَا التَّقَى الصَّفَّانَ أَوَّلَ غَالِبٍ) .
مع قولِ أَبِي نَوَاسٍ - مجزوء الرمل - : .
(وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عُلُقَاءَ ... وَتَرَأَى الْمَوْتَ فِي صُورِهِ) .
(رَاحَ فِي ثَنَدِيٍّ مُفَاضَتِهِ ... أَسَدٌ يَدُومَى شَبَا طُفْرِهِ) .
(تَتَأَيَّأُ الطَّيْرُ غُدُوتَهُ ... ثِقَةً بِالشَّيْبِ مِنْ جَزَرِهِ) .
المقصودُ البيتُ الأخيرُ . وحكى المَرْزُوبَانِيُّ قال : حدَّثني عمروُ الـوَرَّاقُ : .
رَأَيْتُ أَبَا نَوَاسٍ يُنْشِدُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أُولَاهَا : .
(أَيْسُّهَا الْمُنتَابُ عَنْ عُفْرِهِ ...) .
فحسدهُ . فلم بلغَ إِلَى قولهِ : .
(تَتَأَيَّأُ الطَّيْرُ غُدُوتَهُ ... ثِقَةً بِالشَّيْبِ مِنْ جَزَرِهِ) .
قلتُ له : ما تركتَ للنابغة شيئاً حيثُ يقول : إِذَا مَا غَدَا بِالْجِيشِ : البيتَين - فقال :
اسكتْ فلئن كان سَبَقَ فما أسأتُ الاتِّبَاعَ .
وهذا الكلامُ من أَبِي نَوَاسٍ دليلُ بَيِّنٍ في أَنَّ المعنى يُنْزَعُ من صورةٍ إِلَى صورةٍ .
ذاك لِأَنَّهُ لو كان لا يكونُ قد صَدَعَ بالمعنى شيئاً لكانَ قوله : فما أسأتُ الاتِّبَاعَ :
مُحَالاً . لِأَنَّهُ على كلِّ حالٍ لم يَدْتَبِعْهُ في اللفظ . ثمَّ إِنَّ الأَمَرَ طَاهِرٌ لِمَنْ نَطَرَ في
أَنَّهُ قد نقلَ المعنى عن صورته الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا في شِعْرِ النَابِغَةِ إِلَى صورةٍ أُخْرَى وذلكُ أَنَّ
هَاهُنَا معنيين : أَحَدُهُمَا أَصْلُ